قضايا فسرها وأوضح حلولها

في حوار للأستاذة الكاتبة / سناء السعيد مع الشيخ الشعراوي وقد ضمنته في كتابها " الشعراوي بين الدين والسياسة " وفي هذا الجزء من الحوار يتكلم الشيخ الشعراوي عن الإسلام كنظام.. ويتكلم عن الحكم كمسئولية وتكليف لا تشريف.. ويعارض مبدأ " تسييس " الشباب مشيرا إلى أن تربية الشباب سياسيا وإقامة التكتلات الطلابية لا يتفق مع واقع الحياة ومتطلباتها. مؤكدا أن سياسة الدولة يجب ألا يضطلع بها إلا من نضج وصقلته التجربة.

فلنقرأ هذا الجزء من الحوار الرائع والتي أجرته المؤلفة مع الشيخ:

**** الإسلام كنظام سياسي.. إلى أي حد أمكن تبني الإسلام كمنهج سياسي للمجتمع؟**

يجيب الشيخ: ما المقصود بالسياسة؟ إن السياسة إدارة حركة الحياة. فأنا كإنسان وفرد أدير حركة الحياة في نفسي. ورب الأسرة يديرها في أسرته.. وحاكم الأقليم يديرها في إقليمه..والحاكم العام يديرها في دولته.. وإدارة هذه الحركة تتطلب أن تكون هناك سياسة وأن توضع أصلا لكي تدار. وهنا نتساءل من الذي يضعها؟ المفروض في الحاكم ألا يعمل بنفسه.. وإنما يختار من يعمل ويراقبه. ولهذا فيوم أن تأتي الحكومة لتضطلع هي بالعمل تقول لها ا،ت فاشلة. الحكومة التي تتكفل بالمباني أو بشي السمك وقليه تكون حكومة فاشلة لأن الحكومة يجب أن تختار من يعمل لها وتراقبه.. لأنها عندما تعمل ستعمل بجهاز وهذا الجهاز سيعمل للآخرين.. فلا يمكن أن يقال أن إنسانا يعمل لنفسه يساوي في إخلاصه إنسانا يعمل لغيره. يجب على الحكومة أن تدع كل فرد يعمل لمصلحته بحيث يكون مدفوعا للعمل بحب

نفسه ولو حدث هذا ما ظهرت الرشوة وانتشرت وما انهارت العمارات.. إن العمارات تتصدع وتنهار لأنني أنا لست الباني.. كما أنني لا أجلب الحديد أو الأسمنت ولا أشرف على الرمل أو الكم أو النوعية- لأن غيري هو الذي يشرف وهو المنتفع ولهذا شتان بين فرد بيني بنفسه وآخر يشرف مقاول على بنائه ، وثالث يشرف على البناء مقاول من الحكومة. فالأول سيجيد ولن يؤخذ منه شيء أما الثالث فستتعدد المصافي وسيكثر الاستغلال وعدد المنتفعين.

هذا يحمل ضمنا وصراحة تشجيعا وإعلاء للقطاع الخاص بل وتغليبه على القطاع العام ويستشف منه تنحية القطاع العام على أساس أنه مليء بالثغرات ولا مثالب؟

إنه فيه حثا على القطاع الذاتي بحيث يتكفل كل بعمليته ، ولهذا عندما أقحمت الحكومة نفسها وتدخلت في أرزاق الناس وتصنيفهم وفق أن هذا لديه وهذا ليس لديه ترك الله لهم العملية بأكملها ليتحملوها كلها.. من أخذ ما ليس له حمله الله ما ليس عليه.

وأتساءل من قال بأن دولة متخلفة في العالم الثالث ما زالت في بدء المحاولات لكي تنهض تشرع بمهمة توظيف كل أفرادها وتأخذ على عاتقها تعليم الأغلبية بالجامعة. إننا ننسي أن من يتعلم بالجامعة في الولايات المتحدة يدفع الكثير حتى يمكن له ذلك.

هذه دعوة ضمنية إلى قصر التعليم الجامعي على فئة قادرة على تمويل تعليمها – بل إن ما أردتموه ألآن دعوة تحريضية ضد مجانية التعليم؟

هذه ليست مجانية – فلو أننا حسبنا ما تدفعه الأسرة على الدروس الخصوصية لأولادها لوجدناه يساوي عشرة أمثال ما كانت تتكلفه الدراسة

يوم أن كانت بمصاريف – فدعونا من نفاق الجماهير ولنشرع في علاج مثل هذه القضايا بروح جديدة – ذلك أننا إذا لم نعالج المسائل بوقفة صريحة وواضحة فإن الأمور ستزداد تفاقما ومشاكلنا ستتراكم. لقد حسبنا العطلة في الدولة فكانت ١١٤ يوما – من سخرية القدر أن اليوم الذي نحب أن نمجد فيه عملا نأخذه كعطلة أي أننا نمجد العمل بتركه.

** ورغم هذا فكل يدع الأمور تسير كيفما أتفق؟

نعم والآثار تتراكم.. وكل يسوس عمره إلى أن ينفد ويترك المسائل معلقة فيما بعد لمن يظل على قيد الحياة كي يعاني الأمرّين.

** معنى هذا أنكم غير راضين عما يسود واقعنا اليوم من أوضاع مغلوطة ومعايير مقلوبة ومفارقات مضادة؟

غير راض عن الكثير

** نقطة الصراع بين الإسلام والعصرية في التفكير السياسي – والتي ينظر إليها البعض على أنها أحد الأسباب لعدم الاستقرار؟

التفكير السياسي صراع فكري بشرى لفكر بشري – فليس هناك فكر بشري أولي من فكر طالما نحكم بأنفسنا – ولكن حينما أخضع أنا وأنت لمن هو أعلى مني ومنك فهنا لن تكون لديك غضاضة ولن تكون على غضاضة خاصة وأن من نتلقى منه – باتفاقنا كمؤمنين- أعلى مني ومنك – ومن ثم يوم تخضع له لن يقال أنني خاضع لك أو أنك خاضعة لي.. فكلانا خاضع لأله أعلى.

** هذا لا يمنع من وجود جزئيات يخضع فيها المتلقي إلى فكر بشر مثله؟

الفكر البشري يكون في الأمور التي ترك الله لنا أمر التفكير فيها بشريا. بمعني أننا لا نقترب من أمور حسمها الله بإحكام.. أما الأمور التي لم يحسمها الله بإحكام فقد أباح لنا أن نفكر فيها بشريا.

** حتى في الأمور التي أباح لنا الله فيها أن نتبع فكرنا البشري فإن الحكم تحول إلى معضلة؟

ما يرهق ويتعب الآخرين أن طائفة تريد أن تحكم طائفة.. دولة تتطلع إلى حكم دولة.. ولكن عندما يثبت أنه لا أنا ولا أنت نريد أن نحكم ينتهي الأمر وتصفي القلوب وتطمئن. فالله هو الذي يحكم. وعليه يكون الحكم تكليف لا أبهة وتشريف وترفيه ومنهجية فالحكم متاعب ومسئوليات ومهام جسام.

** في محاولة تهيئة الإنسان للحكم وإعداده تمهيدا للاضطلاع به قد ينظر وجوب خلق الكوادر الجديدة وتربيتها سياسيا أو ما اصطلح بتسميته تسيس الطلبة؟

تربية الشباب سياسيا وإقامة التكتلات الطلابية لا يتفق مع واقع الحياة ومتطلباتها. فنحن نتعرض لإرهاق وكد في محاولة منحهم منهجا لاستذكاره والنجاح فيه – فكيف بمن لا يستطيع أن يسوس أمور نجاحه في بعض المواد أن نأتي كلي نسيسه ونطالبه بأن يتحدث في سياسة الدولة؟ إن هذا محض هراء. ذلك أن سياسة لا دولة يجب أن تكون قاصرة على قوم نجحوا بالفعل في حياتهم الخاصة ونضجوا وصقلتهم التجربة فحق لهم بالتالي أن يضطلعوا بمسئولية الأمة. فلأن الفرد منهم قد جرب في مسائله الخاصة ونجح – فإننا نطالبه بأن يحمل مهمة أمته ويقدم لها بعض الخير. فهو يضطلع بالمهمة بعد أن وصل إلى حد الإشباع في الشهوة والأهواء والنزعات.. وبعد أن وصل إل

الشعور بأنه قريب إلى الله فكل هذا يصبح عاصما له من أن يزل أو ينحرف. ومن ثم لا يمكن أن أتوجه للأطفال المعجزة لأطالبهم بأن يأتوا ليجربوا في الأمة. إننا نقول لهؤلاء جربوا في حياتكم الشخصية أولا ، فإذا نجحوا وجرب الإنسان منهم بأمانة في مسائله الخاصة – حينئذ وفقط يمكن أن أئتمنه على المسائل العامة وأطالبه بعد النضج أن يتوج حياته بخدمة أمته. فثمار نضجه وتجاربه لابد أن يمنحها لأمته.

** هذه دعوى صريحة لرفع الأيدي عن تسييس الطلبة وإقحامهم في مجالات العمل السياسية وما يطلق عليه تربية الكوادر السياسية الجديدة؟

لا يمكن أن آتي للشباب منذ البداية لأقول له إنني سأتعهد بتعليمك وفي الوقت نفسه أقوم بتسييك.. كيف هذا وهو لا ينجح إلا بصعوبة؟ كيف يتأتي له التفرغ والنجاح في مسائل أخرى أكبر وأكثر أهمية بالنسبة للمرحلة التي يعيشها حينئذ؟ إن اللجوء إلى تسييس الطلبة هو ض٢رب من تملق الشباب ومنافقته ويجب أن نبعد عن هذا لأنني إن فعلت سأوقع الشباب في المحظور وسيعاني منه الشباب كثيرا على المدى البعيد. من السخرية أن نتطلع إلى تسييس الشباب في الوقت الذي قدر أرى فيه شابا في الخامسة ولا عشرين أو الثلاثين وما زال يتعلم. أي أنه ما زال طفلاً يمد يده لوالده لكي يحصل على مصروفه. بمعنى أن طاقته مضيعة مهددة من سن الثالثة عشر حتى الخامسة والعشرين.. فكيف أشغله بتيارات أخرى؟

** ولكن قد ينظر إلى التسييس بوصفة أحد المجالات التي تلبي طموح الشاب وتصقل ذاتيته؟

الطفل كأي ثمرة من الثمار حين يبلغ نضجه تصبح له ذاتنية – وهي التي يجب أن تستغل أولاً – بمعنى أنه إذا تطلع إلى طموحات ما فلابد أن

يشقى من أجلها ويتعب ويستوفي شروط الحصول عليها ليستحقها بجدارة – فلا يمكن أن أعهد إليه بمهمة أمة وهو خواء وفراغ.

** ما دمنا بصدد الحديث عن الحكم أتساءل ماذا عما يردده البعض من دعوى مفادها أن علماء الدين يجب أن يقودوا بدلا من أن يحكموا؟

إن مبدئي دائماً يتركز في أنني أريد أن أحكم بالإسلام – ولا أريد أن أحكم. فعندما يأتي عالم الدين ويقول هذا يتبين لنا إخلاصه في دعوته. فكأن الإسلام لديه أمين في أن يدير الكون ويدير ما فيه. أما إذا حدث العكس وتطلع عالم الدين إلى أن يحكم فهنا تكون مشهورة.. وهنا نقول له لا.

وعليه ألا ينسى أن الشهوة – شهوة الحكم – قد تكبت وتحصر وتحاصر. لأنه من البديهي أن من يملك الحكم لا يريد ولا يسمح لأحد بأن يستولي عليه. ولهذا ستثار العقبات في طريقه وهو في حل عن هذا كله. وعليه فمن أراد الصالح العام من هؤلاء – أعني علماء الدين – نحن نفسه عن شهوة الحكم وتطلع فقط إلى أن يحكم من غيره الإسلام.

** هذه دعوة إلى أن يربأ علام الدين بنفسه عن الحكم؟

نعم.. بل إن السبب في فشل أكثر من حركة إسلامية أن القائمين عليها يريدون في الحقيقة أن يحكموا لا أن يحكموا بالإسلام. وهؤلاء حري بكل منهم أن ينأي بنفسه عن الحكم وعن أن يمسك بمقاليده فلم يعد هناك من يملك المحاباة بالنسبة لأي حاكم كان – ولذا علينا أن نطلب من الحاكم أن يحكمنا ونحاول أن نحتويه.

** معنى هذا أنه لا خوف على لاحاكم من أن يرتدي ثوب الحكم الإسلامي؟

بالطبع لا.. لأنه أن أراد حقا أن يطبق الحكم الإسلامي فعليه أن يطبقه أولاً على نفسه. حين يفعل ذلك فلن يجد له أحد من رعاياه تميزاً له في شيء. وبالتالي لن يتطلع أبداً إلى أن يكون حاكماً، طالما أن الحاكم غير متميز. فإذا غاب التميز ولا تفرد للحاكم بالنسبة لرعيته غاب المحرك للأطماع بالنسبة للحكم. فعندما يتطلع المرء العادي فيرى الحاكم ومن حوله من حاشية يرتعون في ترف وبذخ يتطلع بدوره إلى أن يكون حاكماً. ولكن عندما يتطلع فيجد الحاكم شقياً بالحكم سيبعد عنه ويطلب من الله سبحانه وتعالى أن يعينه ويأخذ بيده على ما هو فيه.ولهذا عندما يقال أن عمر بن الخطاب قد حكم الدنيا – نقول لا لم يحكم الدنيا وإنما حكم نفسه أولا فحكمت له الدنيا. كان عمر أجل من أن يجامل قريباً له – إنما كان يجامل الناس لإتصالهم به أما أهله وعشيرته فكان يقول لهم: نويت أن أفعل كذا وكذا فمن خالفني فيه فساجعلنه نكالاً للمسلمين.

لقد وقف عمر ليخطب قائلاً: اسمعوا وتطيعوا.

فإذا بواحد من الحاضرين يقاطعه قائلاً: لا سمع ولا طاعة. فقال: له عمر: ولم؟ قال الرجل: ثيابك أطول من ثيابنا.. وهنا نظر عمر لأبنه عبد الله وقال له قم لتتحدث. فقال عبد الله: أبي رجل طوال فأعطيته ثوبي فوصله بثوبه. وهنا قال الرجل: ألآن نسمع ونطيع.

وهذا يعني أن السمع والطاعة واجبة حينما يجد المرء أن الحاكم ليس متميزاً عنه في شيء. بل على العكس متعب ومرهق وشقي بالحكم الذي يضطلع به.

وهناك قصة أخرى أسوقها... فلقد جاء رجل ورفض ألا أن يأكل مع أمير المؤمنين ظناً منه أن موائد أمير المؤمنين تختلف عن موائد العامة وأنها

عامرة بأشهي الأصناف – فترك الرجل الناس تأكل الثريد والبعير.. وانتظر هو ليأكل مع أمير المؤمنين. كم كانت دهشته أن وجد على مائدة أمير المؤمنين القديد وبعض الخل.

فشخص مثل هذا رأي ما عليه الحاكم لا يمكن أن يفكر في يوم من الأيام أن يصبح حاكماً. وبالطبع سيتغير الأمر لو أنه رأي الحكم ترفاً ورفاهية. وعليه أقول حين يأتي الحاكم ويكون إسلامياً حقيقاً فهو لا يخشى شيئاً البته.

** مهمة الحكم تظل تكليفا بمسئولية شاقة وتبعة جسيمة بل أن الحاكم مهما أنصف وعدل قد لا يسلم في النهاية من اللوم أو الإيذاء؟

على الحاكم أن ينجز ما أنيط به.. أما إذا جاءه بعد هذا من لا يرضى عنه أو من يغتاله أو ينال منه فسيكون له جزاؤه. تماما مثلما حدث لعمر بن الخطاب. فكأن الإله يقول له.. أنت قدمت عملا كبيراً. وعملك في الدنيا لا يكفي للجزاء الذي أريده لك وعليه أميتك شهيداً لكي أجزيك خير الجزاء.

** خرج علينا أحد علماء المسلمين. ويدعي عبد الرحمن وحيد – زعيم منظمة نهضة الأمة في أندونيسيا ليؤكد أن ما ذكره القرآن من تشكيل دولة إسلامية أمر غير واقعي – وأن هذا حلم يراود البعض؟

كل هذه أبواق مدفوعة من خصوم الإسلام – تماما كما دفع – مبرزا غلام أحمد – في باكستان فانشأ القديانية لكي يبطل الجهاد الذي يؤرق أعداء الإسلام. والذي أرق الصليبين والإلحاديين دائماً. فهؤلاء مدفوعون من قبل خصوم الإسلام. ولهذا ترين أن كل دعوة من هذه الدعوات تجنح إلى التخفيف وهذا يصدق أيضاً على ما قام في إيران من بابية وبهائية – إذ لجأ أتباعها إلى التخفيف.

فكل دعوة من هذه الدعوات تلجأ إلى تخفيف الإسلام بغية تخليصة من قوة تفرض سيطرتها في حركة الحياة بما لا يتدخل في عقيدة ولذلك هم يقولون ويشيعون خطأ بأن الإسلام كان بالسيف. وهو ليس كذلك – إذ لو كان بالسيف حقاً لما بقي هناك من يدفع الجزية في الدول التي فتحها. فإبقاء الإسلام على من يدفع الجزية معناه أنه ترك لأصحاب العقيدة حريتهم طالما أن نظام الإسلام يسير. وطالما كان له فكر يسوس به الدنيا بل إن من نضج في حضن الإسلام صلح لكي يقود ويسوس الدنيا أمثال عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد.

** الإسلام كنظام يسوقنا إلى الحديث عن أسلوبه في الحروب خاصة وأن هناك وجهة نظر تؤكد وتسوق الشواهد على أن الإسلام لم يشن حرباً هجومية قط وأن كل غزوات الرسول ﷺ كانت دفاعية بدءاً " ببدر " وانتهاء بتبوك؟

من قال أن حروب الإسلام كانت للدفاع؟ هذا أيضاً ما يريد خصوم الإسلام أن يوقعوا الإسلام من خلاله.

إنني حر في أن أعلن عن ديني وأحمي اختيار الفرد كما يجب.

فأنا إن حاربت أحارب لكي أحمي إختيار الفرد بعدما أعلنها صريحة بأن من يعارضني في أن أقول كلمة الحق سأحاربه وأهاجمه.

** هل يمكن أن أهادن؟

بالطبع لمن لا يعارضني ولكن من يعارضني أهاجمه. أن أقول كلمة الحق ثم بعد ذلك له مطلق الحرية في أن يسمعها أو لا يسمعها أو لا يسمعها. فالإسلام جاء بقوته ليحمي حرية اختيار الفرد.

**ولكن كل غزوات الرسول ﷺ بدءاً من بدر حتى تبوك كانت كلها دفاعية؟

ليست دفاعية أبداً فعندما أعلم أن هناك من يريد أن ينقض علّي أو أن هناك من يعين غيره للإنقضاض عليّ فماذا أفعل؟ يجب أن أحاربه.

** هل يعني هذا أن الإسلام د حض على أن تكون الحرب هجومية؟

هجومية لمن أظن فيه أنه سيقف أمام دعوتي..

** ألا يتعارض هذا مع قوله تعالى: لا إكراه في الدين؟

أنا لا أكرهه – ولكن أحمي الاختيار. بدليل أن الجزية قد فرضت – ففرض الجزية يعني أن هناك أناسا تركوا على دينهم. فأنا لم أرغم أحدا – من استمر على دينه استمر – فحربي كله من أجل أن أفسح لكلمة الحق أن تقال ولكي أحمي اختيار الفرد.

** كان لدي انطباع بأن الحروب في الصدر الأول من الإسلام كانت دفاعية ولم تتحول إلى هجومية إلا في الداخل فقط بالنسبة للمرتدين؟

المرتد موضوع آخر. وهناك من عاب الارتداد على الإسلام. وهؤلاء أغبياء. لأنني حينما أقول للمرء إنك إن دخلت الإسلام ثم خرجت منه تدفع حياتك ثمناً له. حينئذ لن يدخل الإسلام إلا إذا جعل الغاية من الإسلام مقابل حياته بمعنى ألا يدخل هكذا جزافا وبدون تفكير وإلا كان الموت ثمناً لجزافيته.

**** ألا يمكن أن يكون رد فعل هذا التحذير هو الحد من عدد الداخلين إلى الإسلام؟**

إنني أحذر من مغبة الأمر.. ومن الجزافية حتى لا يدخل عندي ثم يعود

obeikandl.com

قائلاً لقد جربت الإسلام فلم يصلح لي. ولهذا أنصح قبل أن يدخل إلى الإسلام بأن يدرس العملية أولاً حتى يكون دخوله الإسلام بعد تدبر وتمعن.

❊❊ قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ [١٧] وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ [١٨] وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ [١٩] وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية:١٧/ ٢٠). مع ما تدعو إليه الآية من تمعن تدبر ونظر هل أحساب المرء إذا لم يهتد؟

عليه أن يتمعن بداية قبل أن يعلن إسلامه. لن الرجوع عنه ثمنه حياته أنني هنا أحول بينه وبين النظر إلى عملية إسلامه على أنها مجرد نظرية سطحية. بحيث يعلن إسلامه ثم يرتد عنه بعد ذلك. فانا أحذره.. لا تجعل منها نظرية سطحية لأنك إن فعلت ستدفع حياتك ثمناً لها.. إنني أنبهه " إياك أن تدخل إليها إلا وأنت واثق بأن ما خلت إليه أثمن من حياتك ".

❊❊ ولكن ألا تؤخذ عملية النضج في الحسبان. فالمتغيرات التي تعن للمرء على مدى سنوات العمر كفيلة بتغيير مسارات فكره ومبادئه ودرجة النضج لديه؟

ما دام الإنسان أصبح قادراً على إنجاب مثله – يكون قد نضج هذا هو حد النضج فإذا أصبح الشاب بالغاً قادراً على إنجاب مثله يكون النضج قد استوفي واستوي ولهذا لم يكلف الله المرء إلا بعد الوصول إلى القدرة على إنجاب مثله.

❊❊❊